الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الأدب

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان

سجل تحت رقم .....

بتاريخ .....

الرقم .....

السنة الثانية ماستر

تخصص: دراسات مقارنة

مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وابن خلدون

إعداد الطالبة:

- بوزياني فاطمة الزهراء

تحت إشراف الأستاذ:

أ.د بوعلي عبد الناصر

السنة الجامعية: 2011 - 2012

بدا ابن خلدون في كتابة مقدمته في قلعة بني سلامة بالقرب من مدينة فرندة الجزائرية سنة 1375م، و استغرقت مدة خلوته هناك أربع سنوات، متفرغا للكتابة بعيدا عن أي شاغل آخر له متخليا عن الشواغل كلها:

"و شرعت في تأليفي هذا الكتاب و أنا مقيم بها و أكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة"[1].

و سمى ابن خلدون مولوده الجديد بعلم العمران البشري و الاجتماع الإنساني، و يعرف علمه الجديد في مقدمته قائلا: "و لم أترك شيئا في أولية الأجيال و الدول و تعاصر الأمم الأول، و أسباب التصرف و الحول في القرون الخالية و الملل، و ما يعرض في العمران من دولة و ملة، و مدينة و حلة، و عزة و ذلة، وكثرة و قلة، و علم و صناعة، و كسب و إضافة، و أحوال متقلبة مشاعة، و بدو وحضر وواقع و منتظر، إلا و استوعبت جمله، و أوضحت براهينه و علله، فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة"[2].

فعلا كان كتاب مقدمته فذا بما تضمنه من علوم جديدة، رآها ابن خلدون غريبة في عصره ولا نراها نحن اليوم علينا غريبة.

لقد كان الكتاب موسوعة في عدة علوم و فنون و معارف، و كان فلسفة لحضارة الإنسان الاجتماعي و طبعه، و تعتبر المقدمة المنارة التي أطل من خلالها ابن خلدون على العالم من حوله، و هي القيمة التي تربع على عرشها، و أبدع و سبق بها غيره من عرب و عجم، فكان له شرف الإبداع و السبق، و الاجتهاد و الإصابة.

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون مج7 ص1040.
[3]- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة ج1 ص34.

لقد كانت المقدمة موسوعة شاملة بها: "الجغرافيا الطبيعية، و الجغرافيا البشرية و السياسية، والاقتصاد السياسي، و البيان و التربية، و الكيمياء القديمة و السحر، و الفقه والفنون و الصنائع والأدب، و العلوم اللسانية و الجبر، و الهندسة و الطب و الفن المعماري و تنظيم المدن والفلاحة و الفن العسكري و علم الكلام ....."[1].

تناول الكاتب أكثر من عشرين علما و فنا و صناعة جاءت في المقدمة، و مع هذا فهو لم يذكر كلما جاء فيها، بل ذكر البعض منها، إنها بحق موسوعة علمية و فكرية سبقت عصر الموسوعات.

[1]- عبد الغني مغربي: الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ص35.

إن مفهوم الحضارة قديم قدم الإنسان و تاريخه، فلا حضارة بدون إنسان، و لا إنسان بدون تاريخ، و الحضارة بعض من التاريخ، و لا حضارة بدون تاريخ، فلكل حضارة تاريخها، و لكل إنسان حضارته و كلما تفاوت الإنسان من البدائية و التطور تفاوت تاريخه و حضارته.

فالتاريخ نفسه هو تعبير حضاري بغض النظر عما يحتويه من سلبيات و إيجابيات و ازدهار وانحطاط في مختلف مراحله فهو تعبير إنساني عن سيرة الإنسان و آثاره. و الحضارة هي كذلك تعبير إنساني و لكن بلغة أخرى أكثر واقعية و تجسيدا.

فالحضارة هي الوجه الآخر للإنسان، و هي المرآة العاكسة لذلك الإنسان و جهاز لقياس قوته وضعفه.

فإن الحضارة كالإنسان مادة و روح، فلا توازن لها في حالة غياب أحد عنصريها عن الآخر، فلا توازن لوجود لجانب الروحي دون الجانب المادي، كما لا ينفع وجود هيكلها مجردا من روحها و الحضارة مولود إنساني سواء ولد سليما أو مشوها، متوازنا أو فاقدا لتوازنه.

لقد عرفت الشعوب و الأمم الحضارة منذ القدم و عبرت عن مظاهرها و أبرزتها بأشكال وألوان مادية و معنوية مختلفة تختلف من مجتمع لآخر و من مكان لآخر و من عصر لآخر.

و في جميع الحضارات التي عرفتها البشرية، كان الإنسان المحور الرئيسي الذي يدور حوله كل نشاط حضاري، و يستقطب الأحداث التاريخية. إنه الكائن الوحيد الذي يعبر تعبيرا حضاريا ماديا و معنويا بلغة البناء و النحت و الرسم، و الشعر و المسرح و اللباس، و كل إبداع فهو تعبير حضاري.

إن الحضارة نسيج مركب اجتماعي و ثقافي وفكري و نفسي و تاريخي و ديني و اقتصادي، وهي شديدة التعقيد و التداخل، و الإنسان دوما هو عنكبوت نسيجها الحضاري، فالحضارة هي إبداع إنساني لخدمة الإنسان و تلبية حاجياته و رغباته، و توفير الراحة و السعادة و الرخاء له.

إن الحضارة تراث إنساني للمسيرة الإنسانية، شاركت فيه جميع شعوب و أمم العالم بنسب متفاوتة، و ظهرت في مواقع جغرافيا مختلفة، و بين أجناس و أعراق متباينة، و اختلفت مدة بقائها و اندثارها من حضارة لأخرى.

لقد ذكر المؤرخ و الفيلسوف البريطاني (أرنولد تويمبي) 1889-1975 أن التاريخ عرف منذ القدم إلى اليوم ستة و عشرين حضارة، أبرزها إحدى و عشرون حضارة، لم يبق منها إلا خمس حضارات هي: الحضارة المسيحية الغربية، الحضارة المسيحية الشرقية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الهندية، حضارة الشرق الأقصى[1]، و قد اختلفت أعمار هذه الحضارات كما اختلفت شعوبها و أماكنها و دياناتها و ألسنتها.

إذن فالحضارة منتوج إنساني، و العكس غير صحيح و التعبير الحضاري له أشكال و صور وألوان تختلف أو تتحد من مكان إلى آخر أو من أمة لأخرى، فالحضارة تعبير إنساني، والتعبير الإنساني يختلف من إنسان إلى آخر كما يختلف التعبير اللغوي من إنسان لآخر و ليس من لغة إلى لغة أخرى فقط، بل يختلف التعبير الإنساني حتى في اللغة الواحدة من إنسان لآخر، و لكن الكل يعبر عن نفس الغاية حتى و إن عبر عنها تعابير و لغات مختلفة، و كذلك الحال بالنسبة للتعبير الحضاري سواء كان المعبر شرقيا أو غربيا. فالذي لا

[1]-آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك و تويمبي ص70
الحضارة عند مالك ابن نبي .

يستطيع أن يعبر تعبيرا حضاريا فهو معاق إعاقة حضارية، و الفرد المعاق لغويا أيسر من الفرد المعاق حضاريا، و الإعاقة الحضارية هي أهلك و أبشع أنواع الإعاقة بالنسبة للشعوب و الأمم المعاقة حضاريا هي أخرى أنواع الأمم.

فالإعاقة الحضارية هي عدم التعبير و المشاركة في المسيرة و الحركة الحضارية الإنسانية، وهناك يكون نوع من العجز فالمرض المزمن الذي يصنع التعبير و المشاركة، و بالتالي يصبح ذلك الشعب أو تلك الأمة المعاقة حضاريا تعيش عالة على حضارة غيرها كما يعيش بعض الأفراد عالة على عائلاتهم و بعض شرائح المجتمع عالة على مجتمعهم.

إذا أردنا تعريف الحضارة فلا نجد لها تعريفا واحدا موحدا و شاملا، بل نجد لها عدة تعاريف متنوعة و متعددة، تعكس مدى تعقيد موضوعها و عمق أفكارها و صعوبة الإحاطة بها. إنها كائن غريب و معقد تشبه في بعض تعقيداتها و مجاهلها الإنسان الذي كلما حاول العارفون معرفته ازدادوا عنه بعدا و تساؤلا، إنه فعلا الإنسان ذلك المجهول أما الحضارة فهي ليس الإنسان وحده، بل هي الإنسان و نتيجة جهده ماديا و معنويا، فدراسة الإنسان دون دراسة جهده أو العكس، فهذا ليس معناه دراسة للحضارة، و من هذا التركيب كان تعقيد الموضوع، و كان للحضارة أكثر من تعريف قد تتفق في المعنى و تختلف في التعبير.

كما سبق و أن أشرنا، إن لفظ الحضارة قديم قدم التاريخ الحضاري، و كان للكلمة استعمال شائع في أدبيات التاريخ و عمومياته كوصف تاريخي لمراحل تاريخية، و ليس كظاهرة اجتماعية وتاريخية معينة أو كمصطلح علمي محدد.

لأول مرة استعمل لفظ "حضارة" استعمالا علميا، كان ذلك في القرن التاسع عشر عندما ذكرت لفظة حضارة في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1825، و معناها عكس توحش ذهب إليه مالك بن نبي، الذي يرى أن أول استعمال و تفسير الواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معينة هي الحضارة كان في القرن التاسع عشر[1].

إذن يظهر لنا أن أول تناول علمي للظاهرة الحضارية كان وليد القرن التاسع عشر. بدأت الحضارة تعرف على المستوى الاجتماعي و اللغوي والفكري في المجامع و القواميس، و اهتم بها اللغويون و المفكرون.

يقول الدكتور حسين مؤنس: "ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية"[2] .

و يعرف تايلور الحضارة قائلا "أنها ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة و المعتقد والفن ، و الخلقيات و القانون و العادة و كل قدرات و اعتيادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"[3].

أما "ليتري" فيعرف الحضارة بأنها "مجموع الآراء و العادات و التقاليد التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية و الدين و الفنون الجميلة و العلوم"[4].

---

[1]- مالك بن نبي : شروط النهظة ص62.
[2]- حسين مؤنس : الحضارة: دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها الحضاري ص15.
[3]- محمد رياض: الإنسان دراسة في النوع و الحضارةص184.
[4]- آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك و تويمبي ص18.

و يعرف "سينجلر" الحضارة قائلا عنها "إن الحضارة هي نفس بلغت التعبير عن ذاتها بأشكال محسوسة و معقولة، لكن هذه الأشكال هي حس متفتحة و ولود و يوجد رحمها داخل الكينونة المصعدة للأفراد و الجماعات..... "؟؟

ليست الحضارة شيئا عظيما فقط، بل إنها شيء لا يمتثله أي شيء آخر في هذا العالم العضوي، فهي النقطة الواحدة التي يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق الطبيعة و يصبح هو نفسه خالقا[1] .

أما "أرنولد تويمبي" فيوغل في البحث و التفتيش عن معرفة البداية الأولى للحضارة و تاريخ ظهورها الأول، لكنه لا يبحث عنها في صفحة الطبيعة و ما بها من آثار للإنسان بل يبحث عنها في أعماق الإنسان خالق الحضارة كما قال "سينجلر" آنفا. إذ يقول "تويمبي" إن وعي الإنسان لنفسه أو ميلاد ما يسمى بالضمير يعتبر تاريخ بداية حضارة الإنسان أو بداية وجوده كمخلوق متميز بنفسه عن سائر الحيوان و قادر على صنع الحضارة و مدرك لبعض القيم الإنسانية"[2].

فالحضارة عند تويمبي تبدأ في الإنسان مع بداية تحضره و تحضر الإنسان لنفسه يكون قبل أن يحضر محيطه و غيره، و فاقد الشيء لا يعطيه، فالحضارة هي بداية تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بما فيهم بنو جنسه من وعي بالنفس و صحوة ضمير و إدراك للقيم، من هنا تكون بداية الحضارة في نظر تويمبي المثالي[3].

---

[1]- أسوالد سينجلر: تدهور الحضارة الغربية ص487.
[2]- حسين مؤنس: الحضارة ص94.
[3]- جون د. برنار: العلم في التاريخ ج4 ص11.

إن دراسة الحضارة و ما يلحق من فروع و جوانب تدخل جميعها ضمن مواضيع العلوم الاجتماعية و الإنسانية التي تعبر عن أوسع العلوم مجالا و أبعدها أفقا و أكثرها غموضا و أدقها تعقيدا، و لذا تختلف حولها الرؤى و تتعدد حولها التعريفات و الاجتهادات و التفسيرات من مدرسة لأخرى و من مفكر لآخر عبر المكان و الزمان، فلا نجد تعريفا واحدا أو تفسيرا واحدا موحدا يلتزم به الجميع، فالاختلاف و التعدد وارد أصلا في طبيعة هذه العلوم و هذه المواضيع، فمعلوماتها تعريف علميا دقيقا واحدا، فتعريفنا للتاريخ أو الحضارة يختلف عن تعريفنا للخلايا أو المعادن مثلا لذا نجد بعض البلدان المتطورة، بل الأكثر تطورا بكل مقاييسه، و الأفضل الاعتراف لها بذلك.

إن التقليد المعمول به في بريطانيا كما هو محفوظ في الجمعية الملكية يرفض الاعتراف بالعلوم الإنسانية كعلوم و تقتصر صفة العلم في بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية فقط على العلوم الطبيعية و التطبيقية[1].

و هي أهم التعاريف و التطورات التي تتعلق بكلمة الحضارة نجد تعريفين الأول التعريف اللغوي، بحيث تعرف كلمة حضارة في معجم متن اللغة كما يلي : الحضارة ضد البداوة والYقامة في الحضر أخص من ذلك الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر و أطلق مجتمع مصر إسم الحضارة على من يسمى بالفرنسية (civilisation)، و اسم التحضر و التمدن على ما يسمى بالإنجليزية (urbanisation)، كما أطلق فن تنظيم المدن على الكلمة الإنجليزية (urbanisation).

[1]- جون د. برنار: العلم في التاريخ ج4 ص11.

الحضارة: الإقامة في الحضر، قال القطامي:

و من تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

و الحضارة مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي في الحضر[1].

و الحضارة= أخلاق البداوة – الإقامة في الحضر و هي كلمة مرادفة "مدني" و المدنية[2] كلمة مشتقة من مدن المدائن أي مصرها و بناها و نحتوا منها فعل (تمدن) و جعلوا معناها تخلق بأخلاق أهل المدن و خرج من حالة البداوة ، و دخل في حالة الحضارة[3].

و للمدنية اليوم معنى أوسع مما مر. فإنها في عرف العلماء و الاجتماعيين تعني الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم و الفنون الجميلة و الصنائع المناسبة لهذه الحالة فالمكتسب كلمة المدينة بذلك مدلولا أعم من مدلولها اللغوي و اعتبرت غاية تتدرج الأمم في الوصول إلى أوجها إلا على تحت تأثير العلوم و الفنون و الصنائع.

و هذا التعريف الأخير نجد مثله تعريفا في المعجم الفرنسي[4].و في المعجم الفلسفي[5] .

الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر خلاف البداوة، أما التعريف الاصطلاحي الحديث للحضارة فإن كلمة حضارة عند المحدثين، معنيان: احدهم موضوعي و الآخر ذاتي مجرد:

---

[1]- المعجم الوسيط: إخراج إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر محمد علي النجار ، ج1 ص180.

[2]- دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي ط3 دار المعارف بيروت المجلد الثامن ص553

[3]- دائرة معارف القرن العشرين : المجلد الثامن ص553.

[4]- Nouveau petit larousse :Librairie larousse 1968 p18.

[5]- المعجم الفلسفي: صليبا جميل 1971. ط1 بيروت الجزء الأول ص475-476.

فالتعريف الموضوعي أو المعنى الموضوعي فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي و الفني و العلمي و التقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة، تقول الحضارة الصينية و الحضارة الأوربية و هي بهذا المعنى متفاوتة فيما بينها، و لكل حضارة نطاقها، و طبقاتها و لغاتها. فنطاقها هو حدود الجغرافيا و طبقاتها هي آثارها المتراكمة بعضها فوق بعض في مجتمع واحد، أو عدة مجتمعات و لغاتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية و التاريخية و العلمية و الفلسفية.

أما المعنى الذاتي المجرد: فتطلق الحضارة بهذا المعنى على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابل لمرحلة الهمجية و التوحش أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة فإذا كان الفرد متصفا بالخلايا الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية قلنا أنه متحضر، و كذلك الجماعات فإن تحضرها متفاوت بحسب قربها من هذه الصورة الغائية أو بعدها عنها و مع أن الصورة الغائية للحضارات مختلفة باختلاف الزمان والمكان فإن اختلافها لا يمنع من اشتراكها في عناصر واحدة، و تتألف هذه العناصر في زماننا من التقدم العلمي و التقني و انتشار أسباب الرفاه المادي، و عقلانية التنظيم الاجتماعي و الميل إلى القيم الروحية و الفضائل الأخلاقية فالكلام على الحضارة بهذا المعنى لا يخلوا من التقويم والتقدير، اي من الحكم على الحضارات بنسبتها إلى المثل العليا المتصورة في الأذهان، و يدل تطور مثل هذه المثل العليا على اتجاهها إلى الاشتراك في عناصر متشابهة لسرعة انتقال الأفكار و الأشياء من إقليم حضاري إلى آخر.

و الحضارة بمعنى ما مرادفة للثقافة، إلا أن هذين اللفظين لا يدلان عند العلماء على معنى واحد فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل و الذوق و بعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية أي على مجموع عناصر الحياة و أشكالها و مظاهرها في مجتمع من المجتمعات و كذلك لفظ الحضارة ، فإن بعضهم يطلقه على اكتساب الخلال الحميدة و بعضهم يطلقه على نتيجة هذا الاكتساب، أي على حالة من الرقي و التقدم في حياة المجتمع بكاملها. و إذا كان بعض العلماء يطلق لفظ الثقافة على المظاهر العقلية و الأدبية، فإن بعضهم الآخر يذهب إلى عكس ذلك، مع أن لفظ الثقافة يدل عند علماء الأنثولوجيا على مظاهر الحياة في كل مجتمع متقدم كان أو متخلف، على حين أن لفظ الحضارة عندهم يدل على مظاهر هذه الحياة في المجتمعات المتقدمة وحدها[1].

[1]- آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند تويمبي و مالك ص 17-18-19-20.

الفصل الأول : حياة ابن خلدون

التعريف بابن خلدون

مولده ونسبه

تعليمه

حياته السياسية

عودة ابن خلدون للمغرب والأندلس

حياته العلمية

مؤلفاته

التعريف بابن خلدون:

لقد عرف العرب ابن خلدون كمفكر عبقري و مبدع جاد بعد أن جاءهم عن طريق الغرب، كما عرفوه بمقدمته و ما جاء فيها كاكتشاف جديد كان له أثره على غير العرب قبل تأثيره على العرب و المسلمين كما قال عنه جورج سارتون:

"لم يكن أعظم مؤرخي العصور الوسطى شامخا كعملاق بين قبيلة من الاقزام فحسب بل كان من أوائل فلاسفة التاريخ سابقا ميكافيلي و بودان، و فيكو، و كونت، وكورنو......"[1].

[1]- من كتاب مفهوم الحضارة عند مالك و تويمبي ص36.

مولد ابن خلدون و نسبه:

أما عن حياة ابن خلدون فقد عرف نفسه بأنه "عبد الرحمان ابن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون"[1].

يذكر لنا ابن خلدون عشرة من أجداده آخرهم جده خلدون الداخل للأندلس مع جده اليمن المسلمين الفاتحين و الذي استقر فيما بعد بإشبيليا[2].

كان للعائلة الخلدونية نفوذ سياسي و عسكري في إدارة شؤون إشبيلية بالأندلس قبل سقوطها، وبعد الحصار الذي فرضه الإسبان على الأندلس و خاصة في عهد الملوك و الطوائف، بدأ تساقط مدنها الواحدة تلو الأخرى حتى سقطت مدينة إشبيلية في يد الإسبان سنة 1248.

استقرت عائلة ابن خلدون في تونس في السنة الموالية لسقوط إشبيلية، أي سنة 1249م، واستطاعت أن تحافظ على ما كان لها من نفوذ و مكانة متوارثة بإشبيليا، فأصبح الجد الثاني لابن خلدون مكلفا بمهام مالية للسلطان الحفصي أبو إسحاق إبراهيم ابن أبي زكريا، و جده محمد واصل صحبة السلطان و تولى عدة مناصب هامة في الدولة. أما والد ابن خلدون فاعتزل السياسة و فضل أن يكون رجل علم و هو الذي قال عنه ابنه، ابن خلدون: أما نشأتي فإني ولدت في تونس في غرة رمضان سنة اثنين و ثلاثين و سبعمائة، و ربيت في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعت و قرأت القرآن العظيم[3]، كان للأب دور مهم جدا في تربية و تنشئة وتعليم ابنه ، و يواصل ابن خلدون

1- عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون مج7 ص 795.
2- المصدر السابق ص798.
3- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون مج7 ص809.

اعترافه بالجميل لوالده قائلا "ومن خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على يد والدي"

ولد عبد الرحمان ابن خلدون لعائلته بعد ما يقارب من القرن منذ نزوحها من الأندلس إلى شمال إفريقيا. و استقرارها بتونس ، كان مولده كما سبقت الإشارة إليه في غرة رمضان 732هـ الموافق لـ 27 ماي 1432 بتونس، و شب منذ طفولته في بيئة علمية، فكان معلمه الأول هو والده الذي تعلم على يده في البداية و هو طفل صغير.

تعلم ابن خلدون علوم عصره، و بالطرق التي كانت سائدة و منتشرة و أول ما تعلمه هو حفظ القرآن الكريم الذي قرأه و حفظه و (ختمه) إحدى و عشرين مرة، كما يعترف هو نفسه بذلك، ثم حفظ الشعر الجاهلي، و قصيدتي الشاطبي و شعر المتنبي و أبي تمام ثم الكتب الفقهية والنحوية والأدبية و كان يزداد همه أكثر على طلب العلم و المعرفة و يوما بعد آخر.

***تعليمه:**

كان تعليم ابن خلدون يمر على يد الأساتذة و علماء أجلاء. كان لهم الفضل الأكبر في تعليمه بداية في جامعة الزيتونة، و كان أولهم شيخه ابن برال الذي قرأ عليه القرآن بالقراءات السبع المشهورة إفرادا و جمعا في إحدى و عشرين ختمة [1].

و يواصل ذكر سلسلة مشاييخه الذين تعلم على أيديهم النطق و علوم اللسان، و هما: الحصايري محمد ابن بحر، و لازم إمام المحدثين شمس الدين الوادياشي، و سمع عليه كتاب مسلم و موطأ مالك، و اخذ الفقه عن محمد بن عبد الله الجياني أما الآبلي فكان ابن خلدون يقول عنه شيخ العلوم العقلية و كان يؤثره عن غيره و قال عنه: "لزمته و أخذت عنه الأصليين و المنطق وسائر الفنون الحكمية و التعليمية و كان رحمه الله يشهد لي بالتبريز في ذلك"[2].

لم يقتصر تعليم ابن خلدون على علم دون آخر، و لا على بعض دون البعض الآخر، لقد تعلم وتعمق في كل علوم عصره، العقلية منها و النقلية و هذا ما أهله ليصبح فقيها و مؤرخا و كاتبا وشاعرا و فيلسوفا و حاجيا و دبلوماسيا ....إلخ

[1]- المصدر السابق: نفس الصفحة ص 809.
[2]- المصدر السابق ص815.

***حياته السياسية:**

كانت عائلة ابن خلدون ذات علاقة و نفوذ سياسي و عسكري و علمي ورثته كابر عن كابر سواء في الأندلس أو في تونس و استطاع ابن خلدون أن يستفيد من خلفيته التاريخية و رصيدها السياسي، و يضيف إليها رصيدا الشخصي من علوم و مهارات و ذكاء و طموح، أهله ذلك كله في أن تبدأ مغامرته السياسية في سن مبكر.

بدأ ابن خلدون أولى مغامراته السياسية و هو ابن العشرين ربيعا، ففي سنة 1352م، كان أول تشريف سياسي كلف به كتاباته هو (العلامة) عن السلطان الحفصي أبو إسحاق: "كتب العلامة للسلطان، و هي وضع "الحمد لله و الشكر لله" بالقلم الغليظ ما بين البسملة و ما بعدها من مخاطبة أو مرسوم"[1].

لم يتوقف طموح ابن خلدون أو يقتصر على (المغرب) المغرب الأدنى "تونس" الذي كان يخضع لسلطان الحفصيين، فسرعان ما تجاذبته الإغراءات السياسية و مطامحه الشخصية نحو أكبر قوة في شمال إفريقيا آنذاك متمثلة في المغرب الأقصى الخاضع لحكم الدولة المرينية، أكبر الدول المغاربية قوة و نفوذا و توسعا، و كانت حاضرتها مدينة فاس تعج و تزخر بعلماء المغرب والأندلس لذا كان اتجاه ابن خلدون نحو المغرب أولا ليصل في نهاية المطاف إلى بلاط المرينيين بفاس، و قبل وصوله و هو في طريقه إليها التقى بحاجب و عامل أبي عنان المريني على بجاية، محمد بن أبي عمرو الذي استضافه عنده و أحسن وفادته، ثم واصل رحلته حتى حط الرحال سنة 1354.

[1]- المصدر السابق: ص809.

كان يحكم فاس أثناء وصول ابن خلدون إليها السلطان أبو عنان المريني الذي قربه منه وضمه إلى مجلسه و علمائه و ألزمه شهود الصلوات معه، و استعمله في كتابته و التوقيع بين يديه.

لم يكن ذلك المقام ليقنع ابن خلدون الشاب الطموح العالم، سليل العائلة العريقة في السياسة والعلم و المجد، فحاول ابن خلدون أن يعوض خيبة أمله بإقباله على طلب العلم و المعرفة واستطاع أن يحقق ذلك بالانكباب على العلم و الالتقاء بالعلماء و المشيخة و في هذه الفترة في عهد أبي عنان، ادخل السجن سنتين (1357-1358) بسبب اتهامه بالمشاركة في مؤامرة ضد السلطان و لم يخرج من السجن إلا بعد وفاة ساجنه.

خرج ابن خلدون من السجن بعد وفاة أبي عنان، لكن لم يخرج من السياسة فعاد لها من بابها الواسع و أصبح كاتب سر السلطان الجديد أبو سالم الذي قربه منه و استبقاه في خدمته و أسند إليه مسؤولية قاضي القضاة أو كما كانت تسمى بالمغرب "خطة المظالم" و بقي في خدمته إلى غاية سنة 1362م، و بهذا التاريخ تغير الحال و عزم ابن خلدون على شد الرحال نحو الأندلس، إلى صديقه ابن الخطيب الذي رحب به و أكرم وفادته عنده في مدينة غرناطة، واعترف له بجميل صنعه معه عندما كان مقيما بالمغرب أثناء أزمته فقربه من السلطان ابن الأحمر الذي أصبح يخلو به في مجلسه و يستشيره و يستنصحه في مواكبه و ركبه.

كانت شخصية ابن خلدون قوية محنكة و مهابة، و كان مطلعا على شؤون السياسة و أسرارها ومناوراتها و مكائدها، و هذا ما جعله يختار مبعوثا لكل أزمة عويصة سياسية أو عسكرية فاختاره السلطان ابن الأحمر حاكم

غرناطة مبعوثا عنه إلى ملك قشتالة المسيحي "بيدرو" المقيم بإشبيلية موطن أسرة ابن خلدون القديم، فاستطاع ان ينجز مهمته بنجاح و هي عقد الصلح بين الدولتين. كما نال إعجاب و تقدير ملك قشتالة "بيدرو القاسي" الذي عرض على ابن خلدون المقام عنده و الإقامة بمدينة أسلافه إشبيلية و أن يرد عليه تراثه إلا أنه رفض ذلك العرض[1] ورجع إلى غرناطة حيث غمره ابن الأحمر بمزيد من الرعاية و الإحسان، و أرسل ابن خلدون في طلب أسرته المقيمة بقسنطينة لتلتحق به و يجتمع شمله. إلا أن المقام لم يطل كثيرا بابن خلدون في الأندلس، فسرعان ما عصفت الدسائس و الوشاية و أثرت في علاقته مع مضيفه، وفي نفس الوقت ظهر عامل جديد و قوي ساعد ابن خلدون أكثر في التعجيل بالرحيل، أنه وصول صديقه الذي سجن من أجله بفاس، "الأمير أبو عبد الله" بعد وصوله إلى الحكم في بجاية، أرسل في طلب ابن خلدون الذي سرعان ما لبى النداء و شد الرحال فورا إليه، فوصل في سنة 1365م.

رحب الأمير أشد ترحيب بضيفه و خرج في استقباله مع كبار رجال دولته، و عنده تقلد أعلى المراتب بعد الإمارة و هي الحجابة فأصبح حاجبا، وعين الأمير أخاه الصغير "يحي ابن خلدون" على القضاء، فخدمه ابن خلدون بكل جهد و إخلاص "و استقبلت ملكه و استفرغت جهدي في سياسة أموره و تدبر سلطانه"[2] غير أن المقام لم يطل به كثيرا و لم ينعم بوظيفته الجديدة، و لا حتى صاحبه أمير بجاية، الذي غمرته الأحداث و أطاحت بملكه، و عجل ذلك برحيل ابن خلدون من بجاية شمالا على مدينة بسكرة جنوبا، محاولا بذلك الاعتزال و لو مؤقتا خاصة أن الأوضاع بين دويلات المغرب لم تكن مستقرة، و مع ذلك لم يطل غياب ابن خلدون عن ساحة الأحداث وما يدور حوله،

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون مج7 ص896.
[2]- عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون مج7 ص896.

فأعلن عن موقفه من ذلك الصراع و أبدى تأييده لخدمة سلطان تلمسان "أبا حمو".

***عودة ابن خلدون:**

عاد ابن خلدون مرة أخرى إلى فاس سنة1372م، و بعد زيارته الأولى لها و التي مر عليها ما يقرب من العشرين سنة، فاستقبل الأمر بحفاوة بالغة من طرف السلطان عبد العزيز المريني، لكن المقام لم يطل به كعادته، خاصة بعد أن تبين له أنه غير مرغوب به، فشد الرحال مرة أخرى للأندلس و كسابقاتها كانت الحفاوة و حسن الاستقبال في البداية. لكن أقل مما عوم ل به في زيارته الأولى، و كانت رد فعله الأسرع في الرجوع متوجها إلى تلمسان، و هناك كانت رغبته هذه المرة جادة و صادقة في محاولته الرامية للتفرغ للعلم و التأليف، و الابتعاد عن السياسة و محيطها و دسائسها و ما لحقه منها من خيبة أمل في تحقيق طموحاته.

عاد ابن خلدون إلى مسقط رأسه تونس بعد غياب طويل دام ما يقرب من ثلاثة عقود، كانت عودته سنة 1378م، في عهد السلطان أبي العباس الذي رحب به و أكرم وفادته و قربه منه وشاوره في أموره و شؤون دولته و اصطحبه معه في غزواته، لكن ابن خلدون كان في تلك الفترة قد تقدمت به السن و ازداد انشغاله بالعلم و التأليف، و وجد نفسه في حاجة إلى مزيد من الكتب و المكتبات و المراجع فقرر و شد الرحال شطر مصر بعد أن استأذن سلطانه "أبا العباس" فكان له ذلك فنزل بمصر لأول مرة سنة 1382م، ليستقر مقامه بها لاحقا و يشتغل بالأزهر مدرسا و قاضيا.

***حياته العلمية:**

كان لابن خلدون صحبة و خدمة لعدد كبير من الملوك و الأمراء و السلاطين في المغرب والأندلس و مصر، و كانت فترته مرحلة مشحونة بالتوتر و الحروب و الصراعات التوسعية بين دويلات المغرب المتنافسة، و كان الوضع كذلك بالأندلس و الشام، إذ لعبت الحروب والدسائس و المكائد دورها. في هذا الوسط السياسي و الظرف التاريخي، عاش ابن خلدون واكتسب خبرة أطلعته على خبايا السياسة و خفاياها، فأصبح خبيرا يستشار، فعين كاتبا و حاجبا و سفيرا.

كانت حياة ابن خلدون العلمية حافلة بالعطاء العلمي و المعرفي في مختلف العلوم و المعارف وفي سن مبكر، خاصة و هو سليل عائلة علم و خريج جامعة الزيتونة و القرويين العريقين. لقد زاحم ابن خلدون كبار الشيوخ و العلماء و هو في سن الشباب فأقام حلقات التدريس و العلم وأم الناس و قضى وأفتى لهم، فكان إماما و مفتيا و قاضيا و شاعرا، و كاتبا و فقيها و أدبيا وفيلسوفا و مؤرخا و هذه العلوم لا يأخذ بناصيتها مجتمعة إلا الراسخون في العلم.

تنقسم جهود ابن خلدون العلمية على قسمين أساسيين: أولهما يتمثل في التعليم و التدريس في الحلقات التعليمية و جوامع و مساجد المدن التي كان يحل بها. أما القسم الثاني من جهده العلمي فكان يتمثل في الكتابة و التدوين للكتب، خاصة كتابه الضخم "العبر".

إن كثرة تنقل ابن خلدون و سفره وزيارته لعدة بلدان و لمنابر علمية، و لقاءه لأكبر علماء ومشيخة عصره و أخذه عليهم، كان ذلك كله عاملا في مساعدته على تحصيل العلم و المعرفة.

لا شك أن ابن خلدون كان موسوعة علمية، و مكتبة متنقلة و أستاذا متجولا، فدرس و أفاد في عدة بلدان و مراكز علم، و تنقل بين جوامعها و مساجدها و حلقاتها العلمية، فكان الطلبة من كل حدب و صوب ينثالون عليه، يلتفون حوله و يقبلون على حلقاته، منذ بدايته الأولى في جامع الزيتونة مرورا بجامع القصبة و القرويين و العباد مرورا بغرناطة قبل أن يستقر به المقام في نهاية الأمر بالأزهر.

و قد شهد لابن خلدون بكفاءته العلمية و سعة اطلاعه و كثرة حفظه و غزارة معلوماته و عمق أفكاره. و من المع معاصريه الذي شهد له بذلك، صديقه و معاصره ابن الخطيب قائلا عنه: "سديد البحث كثير الحفظ، صحيح التصور...مفخر من مفاخر التخوم المغربية"[1]. أما تلميذه السخاوي فكان ينعته بشيخنا العالم العلامة.

استقر ابن خلدون بالأزهر مستجمعا قوته، و متفرغا للعلم دارسا و مدرسا و مؤلفا له و بقى على ذلك إلى أن وافاه الأجل في السادس و العشرين من شهر رمضان و هو الشهر الذي ولد فيه من سنة 808هـ الموافق لـ: السابع عشر من مارس 1406م.

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة ج1 ص19.

***مؤلفاته:**

كان ابن خلدون شابا لا يتجاوز العشرين، و في أوج طموحه السياسي و العلمي، و في خطواته الأولى في بداية مغامراته السياسية و ما يحيط بها من دسائس و مكائد، و ما تحكيه القصور من حولها، كل هذا لم يمنعه من البدء مبكرا في التأليف و التدوين و هو ما زال شابا يافعا، و كان طلب العلم و التعليم و التأليف و التدوين فطرة عند ابن خلدون، لم يتخلى عنها و لم يشغله عنها شاغل. بدا ابن خلدون التأليف و التدوين و هو ابن العشرين من عمره[1]، و استمر على ذلك في حياة حافلة بالتأليف و التدوين، و أهم مؤلفاته حسب ترتيبها الزمني تقريبا هي:

- لباب المحصل في أصول الدين.
- شرح البردة للبوصري.
- مختصر في المنطق.
- مختصرات حول أعمال ابن رشد.
- شرح لأرجوزة ابن الخطيب في أصول الفقه.
- تاريخ العبر"العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".
- شفاء السائل في تهذيب المسائل.
- كتاب التعريف[2].

[1] - عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة ج1 ص19.

[2] - عبد الغني مغربي: الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ص29-30.

من خلال هذه المؤلفات يبدو أنها كانت عادية تتماشى مع علوم عصره و ما كان سائدا فيه من أنواع العلوم و الفنون و صنوف المعرفة، فمؤلفاته يظهر أنها تختلف من مؤلف لآخر شكلا ومضمونا و حجما و منهجا، و تجديدا و تقليدا، بل نجد التنوع و التعدد ليس فيما بينها فقط، بل داخل المؤلف الواحد كما هو الحال بالنسبة للمقدمة.

الفصل الثاني : حياة مالك بن نبي

مولد بن نبي نشأته وتعليمه

البحث عن العمل

الإقامة بفرنسا

مؤلفات مالك

1. **مولد ابن نبي نسبه وتعليمه :**

إن مالك بن النبي لم يكن مثقفا عادي كبقية المثقفين العاديين بل أصبح مفكرا لامعا تجاوز بفكره حدود الاختصاص الأكاديمي إلى البحث والنظر في ما هو أبعد من ذلك ، في الإنسان والحياة والكون . والتفاعل والحرمة فيما بينهم . لقد أصبح ابن نبي في نظر البعض مفكرا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة[1]، والمفكر أولى بالمفكر وأولى بإعجاب الناس به والتأثر به.

لذلك قال عنه المفكر العربي محمد المبارك : « إن مالكا يبدو في كتابه هذا وفي مجموع آثاره مفكرا كبيرا ، وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب ، بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرية الفيلسوف المفكر ومنطقه ، وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره »[2].

في خضم ذلك الواقع التاريخي المأساوي الذي عاشه الشعب الجزائري في بداية القرن العشرين ، في هذه المرحلة ولد مالك بن النبي في سنة 1905، بمدينة قسنطينة ، ولد لعائلة جد فقيرة ، كما كان حال كل العائلات الجزائرية بعد الاحتلال ، وأمام ذلك الواقع الأليم لم تجد عائلته بدلا من أن تتجه من قسنطينة إلى تبسة في المناطق الداخلية على مسافة حوالي مائتي كلم ، كانت في هذه المرحلة نتائج الاستعمار جلية وواضحة في انعكاساتها على الشعب الجزائري فعم الفقر والدمار وكانت عائلة ابن نبي من ضحايا الاستعمار ، فأبوه كان عاطلا عن العمل وجده لأبيه : « باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ لطرابلس الغرب »[3]. أما الطفل مالكا فتكفل به عمه الأكبر الذي كان ميسورا الحال نسبيا ، والذي كان مقيما

---

(1) مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص 13.

(2) مالك بن نبي : من مقدمة كتاب ، وجهة العالم الإسلامي ، ص 13.

(3) مالك بن نبي ، الطفل ، ص 16.

بقسنطينة إلا أن المنية لم تمهله طويلا . فعاد ابن أخيه مالكا مع أرملة عمه إلى والديه بتبسة ، وعن هذه الفترة العصيبة يقول مالك : « لقد كانت هذه الفترة في حياة عائلتي شديدة العسر »[1].

انضم مالك إلى وسطه الجديد مع أطفال تبسة وهو ينتمي إلى عائلة يقول عنها : « مفرطة في الفقر » ، فلم تجد الأم بديلا من أن تشمر على ساعديها لتحمي أسرتها من الجوع وأن توفر لأطفالها ما يسدون به الرمق ، فاشتغلت مهنة الخياطة والعمل الإضافي أيام الجمع[2].

في هذه الظروف القاسية جدا ولد مالك بن نبي وأدخل لأول مرة إلى كتاب ليتعلم القرآن الكريم ، وكان تعليمه عبئا إضافيا على نفقة أسرته ، فأجدة معلم القرآن لم تكن في كل الأوقات متوفرة ، ولازال مالك يذكر أن أمه عجزت عن تسديد أجرة معلمه للقرآن فدفعت له مقابل ذلك سريرها الخاص : « ولازال أذكر كيف أنها اضطرت ذات يوم لي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص »[3].

استغرق تعليم مالك بن النبي بالكتاب أربع سنوات فقط ، ولازال فيما بعد يذكر عقم الطرق التربوية التي كانت سائدة في التدريس مما جعله لم يحفظ من القرآن الكريم إلا الجزء اليسير جدا ، ثم دخل على المدرسة الابتدائية بتبسة ، ثم التحق بقسنطينة حتى تحصل الشهادة الابتدائية ، ليواصل تعليمه الإعدادي إلى غاية سنة 1918.

انتقل مالك بن نبي مرة أخرى لقسنطينة ليواصل تعليمه الثانوي ، ورغم حصوله على درجة جيدة لم يسمح له بالدخول للمدرسة الثانوية فاضطر

---

(1) مالك بن نبي ، الطفل ، ص 18.

(2) نفس المصدر ، ص 19.

(3) نفس المصدر نفس الصفحة.

للدخول إلى التكميلية وذلك بغرض الإعداد للدخول للثانوية الرسمية ، فتقدم مالك للامتحان لدخول المدرسة الثانوية سنة 1920 . وتحققت أحلامه بنجاحه ، فأصبح لأول مرة يتمتع بالنظام الداخلي بدل أن كان مقيما في بيت عمه ، وكانت أول سنة دراسية له في الثانوية (1921-1922).

بعد انقضاء أربع سنوات من الدراسة الثانوية تخرج مالك بن النبي سنة 1925 ، ويظهر أنه كان يشعر بنوع من التقدم في السن عن بقية زملائه ، وهذا يعد طبيعيا بالنسبة لظروفه الخاصة والعامة ، وخاصة أنه من بين الجزائريين القلائل الذي فرضوا أنفسهم وشقوا طريقهم بالتأهل مع أبناء الفرنسيين رغم المضايقات ورغم تعدد أنواع الاقتصاد والتميز والإبعاد المسلط على أبناء الجزائريين.

في هذه الفترة الأخيرة تنقل مالك بن النبي بين مدينتي قسنطينة وتبسة ، وبدأت مداركة تتسع وملاحظاته تزداد ، فتعرف على الطريقة العيساوية المنتشرة بمدينة قسنطينة والتي كان جده أحد أتباعها وتعرف على الأدب العربي ، فاطلع على أم القرى للكواكبي ، ورسالة التوحيد لمحمد عبده ، والصحافة العربية كالمنتقد والعروة الوثقى . وكذلك اطلع على الأدب الفرنسي والصحافة الفرنسية ، وتعرف على المدارس الإلاحية وبعض زعمائها ، وحسن تعليمه في العربية عند الشيخ عبد المجيد في الجامع الكبير ، وتعرف على بعض تلاميذة الشيخ عبد الحيمد بن باديس فشعر أنهم ينتمون إلى الخط الفكري عينه الذي ينتمي إليه[1].

(1) أسعد السمحراني : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، ص 14.

2. **البحث عن العمل :**

تخرج مالك بن النبي سنة 1925م ، وكما سبق وأن اعترف بأنه ابن الأسرة المسعوفة المفرطة في الفقر ، لذا أصبح هاجسه الذي يؤرقه هو المستقبل وحصوله على عمل يشد به أزره ، ويساعد به أسرته . بدأ بالتنقل والبحث عن أي عمل يقوم به أو أي نشاط يمارسه ، وبعد جهود مضنية لم يفلح في مسعاه ، قرر بصحبة صديق له الاتجاه إلى فرنسا ، وبعد جولة زارا خلالها عدة مدن فرنسية منها ، باريس ، ليون ، ومرسيليا ولم يوقف في الحصول على أي عمل فعادا إلى الجزائر.

بعد عودة ابن نبي من فرنسا استقر بمدينة تبسة واشتغل عونا بمحكمتها سنة 1927 ثم عين كاتبا في محكمة أفلو من نفس السنة ، بعد ذلك انتقل إلى محكمة شلغوم العيد ليعمل بها.

كانت سياسة الاستعمار الفرنسية تعرقل كل نشاط وتكبح كل حركة تحاول من خلالها الجزائريون التحرر من قيود الاستعمار الفرنسي ومضايقاته أمام هذا الوضع وهذه المضايقات استقل مالك من وظيفته ، واشتغل بالتجارة مع صهره وشريط ثالث ، وأقاموا طاحونة ليعمل بها ، إلا أنهم فشلوا في تحقي قأي نجاح وصادفتهم الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929م فلجأوا لبيع المطحنة والتخلي عن المشروع[(1)].

عاد ابن نبي لقسنطينة وتعرف لأول مرة على الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزار ، وبدأت معالم الحركة الإصلاحية ترتسم أكثر أمام ناظريه إلا أن الأزمة الاقتصادية وما نجم عنها جعل الوضع الاجتماعي يسير من سوء إلى أسوء ، وأصبحت حاجته للعمل ماسة أكثر ، وأمام إلحاح والديه عليه بالسفر إلى فرنسا مرة أخرى أسوة لبعض الجزائريين

---

(1) المصدر السابق ، ص 15.

والبحث عن أي عمل ، وإكمال دراسته ، أمام كل ذلك لم يجد خيارا آخر ، فعزم على الرحيل وشد حقائبه وكان ذلك في سنة 1930.

3. الإقامة بفرنسا :

عاد مالك بن نبي لفرنسا للمرة الثانية في سبتمبر 1930 ، وفور وصوله فرنسا سجل نفسه للمشاركة في امتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقية ليتأهل بعد ذلك لدخول كلية الحقوق بدون بكالوريا لكن المقياس السياسي الذي يقاس به الطلبة الجدد أسقطت في الامتحان والذي كان وراء سقوطه كما يقول : « هم مدبرو الصراع الفكري وهي مقدمتهم بعض المستشرقين الحانقين على الإسلام »[1].

تحطمت أمال مالك في الحصول على وظيفة المحاماة التي حلم بها بعد تخرجه من معهد الحقوق ، وأخيرا قرر مالك الالتحاق بمدرسة اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء ، وكان تأثير هذه المدرسة عليه يشكل منعطفا جديدا في حياته : « بل غيرت جذريا اتجاهي الفكري ، إذ أنها أسكنت في نفسي شيطان العلوم »[2]. ومنذ ذلك تغيرت حياتي ، وطموحاتي الأولى تبددت ، ونظرته للحياة لم تبقى كما كانت ، فأصبح همه الوحيد هو طلب العلم ، وأصبح يشعر كأنه حمل : « جمع أتام مجتمع يبحث عن الخلاص من بؤسه»[3].

كان مالك ملزما برفع التحدي وبأن يتأقلم مع محيطه الجديد بكل تناقضاته وتحدياته في فرنسا ، فهناك قاعدة فقيرة ينتمي مالك إليها ، وهناك قمة من الحضارة المادية يقف عند عتبتها وهناك يجتمع عربي مسلم مستعمر يعاني من كل ما تعانيه كلمة استعمار وهناك مجتمع فرنسي يعيش في الرفاهية على حساب سابقه . عاش بن بني في عمق المجتمع الفرنسي ونظر إليه من

---

(1) عبد اللطيف عبادة ، صفحات مشرقة من فكر مالك ، ص 35.

(2) مالك بن نبي : الطالب ، ص 219.

(3) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

داخله في الوقت الذي كان الآخرون ينظرون إليه من خارجه ، فكان لزاما عليه ليس الحفاظ على الذات وعدم الذوبان ، بل رفع التحدي والتصدي للآخر بكل ماله من قوة والتصدي لكل رموزه وأشكاله وأفكاره وأساليبه بكل ثقة ، وبدون إحساس أو شعور بالنقص.

في خضم هذا الواقع الجديد الذي وجد ابن نبي نفسه فيه منذ سنة 1931. قرر الزواج وكان له ذلك في نفس السنة ، من فرنسية أسلمت . وأصبحت كما يقول نعم الزوجة ونعم العون له ، ووفرت له كل سبل الراحة مما جعله يتفرغ للنشاط مع زملائه من الطلبة ويتابع عن كثب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر ، ويؤازرها من فرنسا ما استطاع ، ودخل مالك في نفس الوقت في مواجهات غير متكافئة مع الدوائر الاستعمارية التي وضعت تحت المجهر.

وكانت تترصد عن قرب أنشطة باقي الطلبة وتتابع خطواتهم ، هذه المواجهة المفتوحة بين مالك وأصحاب القرارات السياسية في المستعمرات هي التي حالت دون حصوله على وظيفة بعد تخرجه من مدرسة اللاسلكية مهندسا كهربائيا سنة 1935.

كانت مواقف ابن نبي الفكرية خاصية ، ومواقفه من الاستعمار وعدم وضوحه لضغوطه ومساومته عامة هو ما حال دون توظيفه ودون تحقيق أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية ، هكذا وجد ابن نبي نفسه وجها لوجه أمام أعاصير الاستعمار : « كنت أعيش بباريس وأحمل بها وحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي يثيرها الاستعمار على خصومه»[1].

---

[1] عبد اللطيف عبادة ، صفحات مشرقة ، ص 12.

أخيرا اختار ابن نبي الفكر الحضاري وعكف على الدراسات الاجتماعية والفلسفية والنقدية للحضارة الغربية والإسلامية ، وفي هذه الظروف تعرف على شخصيات بارزة سياسية وثقافية منها المستشرق الفرنسي : « لويس ماسينيون ». وتعرف على أفكار شكيب أرسلان الأديب والكاتب اللبناني ، والتقى مع بعثة الأزهر بفرنسا وتعرف عليهم ، وخاصة على الشيخ عبد الله دراز الذي كتب له فيما بعد مقدمة أول كتبه[1]. وكذلك تقابل مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنة 1936.

في الوقت الذي أصبحت فيه أفكار مالك بن نبي وأراءه تنتشر وتصل للقراء ، وبدأت مؤلفاته تطبع وتنتشر ، في ذلك الوقت كان الشعب الجزائري قد أعلن عن بداية ثورته المظفرة في غرة نوفمبر سنة 1954 . عاقدا العزم على نيل استقلاله وأخذ حريته ، أما مالك فكان إلى ذلك الوقت يقيم بفرنسا ، وكانت الثورة بالنسبة له قبسا طال ما انتظره ، ومعينا أمده بمزيد من الإيمان الصمود والمقاومة ومواصلة الطريق فيما سماه « الصراع الفكري » الذي يجيد فيه رصد تحركات وأساليب خصومه.

لويس ماسنيون من أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن 20 ، ولد سنة 1889 وكان مستشار بوزارة الخارجية الفرنسية ، وهو متهم من طرف مالك في أكثر من موقف توفي سنة 1962.

(1) الظاهرة القرآنية.

4. **مؤلفات مالك بن نبي** :

ألف مالك بن نبي ما يزيد عن العشرين كتابا ما بين سنتين 1946 – 1973 وهي سنة وفاته وتنوعت عناوين كتبه واختلفت مواضيعها وتوحدت غاياته.

كانت عناوين كتب مالك بن نبي عبارة عن مواضيع شديدة الصلة بالحضارة ، إن لم نقل هي الحضارة ، حاول من خلالها طرح الإشكالية الحضارية ، فتساءل عن شروط النهضة ، وعن المشاكل الاقتصادية ، والفكرية والثقافية والاجتماعية ، والتي تكون مجتمعة فيما يسمى بالتخلف الحضاري ، فكانت عناوين كتبه محاولات للإجابة عن تساؤلاته لكن لكل تساؤل كتابه.

1- **الظاهرة القرآنية** :

هو أول مؤلفات مالك بن نبي أثناء إقامته بفرنسا سنة 1946 ، مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، والكتاب عبارة عن نظرية ومنهجية جديدة عن كيفية قراءة وفهم القرآن.

2- **لبيك** :

صدر سنة 1947 وهو عبارة عن قصة شاعرية.

3- **شروط النهضة** :

صدر سنة 1948 ، ويعد من أهم مؤلفاته ، تناول فيه التاريخ الحضاري ، وحركاتهما ، وما يتصل بهما من مركبات كالدين والأخلاق والثقافة.

4- **وجهة العالم الإسلامي** :وهو أحد أهم كتبه صدر سنة 1945 سنة قيام الثورة الجزائرية تناول فيه فوضى العالم الإسلامي وأزماته ومحاولات

نهضته ، ويعد هذا الكتاب آخر كتبه بفرنسا قبل أن ينتقل إلى مصر للإقامة بها.

انتقل مالك بن نبي من فرنسا إلى مصر سنة 1956 ، واستقر بالقاهرة إلى غاية تحرير وطنه الجزائر سنة 1962 وعودته إليه سنة 1963 ، كانت إقامة مالك في مصر قد قربته من الرئيس السابق المصري جمال عبد الناصر ، وخصصت له الحكومة المصرية رابتا هريا ليساعده في نفقاته واحتياجاته وليتفرغ للعمل الفكري ، وفي هذه الفترة زار الكثير من البلدان العربية الإسلامية وأصبح أحد مستشاري المؤتمر الإسلامي بالقاهرة.

كانت القاهرة مقرا لحركات التحرر العربية ، وخاصة المغاربية وبالقاهرة كان مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة التي تأسست في التاسع عشر سبتمبر عام 1958 ، وكانت هذه المرحلة أغنى مراحل عطاء ابن نبي الفكري.

أهم كتب مالك بن النبي أصدرها وهو مقيم بمصر هي :

1. الفكرة الإفريقية الآسياوية ، صدر سنة 1956.
2. مشكلة الثقافة : صدر سنة 1957.
3. أنقذوا الجزائر : صدر سنة 1957.
4. الصراع الفكري في بلاد المستعمرة ، صدر سنة 1957.
5. البناء الاجتماعي الجديد نشرت في بيروت سنة 1958.
6. فكرة كومنولث إسلامي ، صدر سنة 1958.
7. تأملات في البناء الجديد ، صدر سنة 1960.
8. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، صدر سنة 1960.
9. ميلاد مجتمع ، صدر سنة 1960.
10. في مهب المعركة ، صدر سنة 1961.

في هذه الأجواء الحافلة بالعمل الذؤوب والبحث والتأليف ، نالت الجزائر استقلالها وافتكت حريتها بعد كفاح طويل وتضحيات جسام . كان ذلك سنة 1962 ، بعد هذا الحدث التاريخي قرر ابن نبي العودة إلى أرضالوطن التني طال ما حلم بها ، وهناك عين مديرا عاما للتعليم العالي ، ولم يطل مقامه بهذا المنصب، فقدم استقالته سنة 1967 ، ليتفرغ ويواصل مسيرته الفكرية ، وفي هذه الفترة التي قضاها في الجزائر ألف كتب التالية :

1. أفاق جزائرية : صدر سنة 1964.
2. مذكرات شاهد للقرن : الجزء الأول – الطفل – وهو سيرة ذاتية صدر سنة 1965.
3. أعمال المستشرقين : صدر سنة 1967.
4. الإسلام والديمقراطية ، صدر سنة 1968.
5. مذكرات شاهد للقرن : الجزء الثاني : الطالب صدر بيروت سنة 1970.
6. المسلم في عالم الاقتصاد : صدر بيروت سنة 1972.
7. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، صدر بيروت 1973.
8. بين الرشاد والقيد : وهو عبارة عن مجموعة من المقالات جمعت وطبعت بعد وفاته سنة 1978.

منذ أن استقال مالك من منصبه ، عكف ف بيته على بذل المزيد من الجهد والعطاء الفكري ، فنظم الندوات في بيته للأساتذة والطلبة ، وحاضر في الجامعات الجزائرية ومعاهدها العليا ، وألف الكتب وكتب المقالات ، وشارك مشاركة فعالة في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تنعقد في الجزائر سنويا ، كما حاضر في عدة مناسبات خارج الجزائر في بلدان عربية وإسلامية ، وبقي مواصلا جهاده وكفاحه بالفكرة والكلمة والقلم على أن وافته المنية وهو يتابع

أخبار وأحداث حرب أكتوبر 1973 ، كانت وفاته يوم الواحد والثلاثين 31 أكتوبر بالجزائر العاصمة.

الفصل الثالث : الحضارة بين مالك بن نبي وابن خلدون

الحضارة عند ابن خلدون

الحضارة عند مالك

تأثير مالك بابن خلدون

بداية مالك مع ابن خلدون

مواقف وأفكار مشتركة بين مالك وابن خلدون

1. الحضارة عند ابن خلدون :

لقد عرف عبد الرحمن ابن خلدون الحضارة بمفهومه الخاص فقال : « والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله».

بالرغم من الفاصل الزمني بيننا وبين ابن خلدون ، ورغم ثقافة عصره إلا أنه عرف الحضارة كظاهرة اجتماعية تاريخية راقية : « هي الوصول على منتهى العمران أي إلى منتهى التطور الثقافي الشخصي المحلي للجماعة والدخول في دور الحضارة وهو دور الرقي الاجتماعي الثابت الذي لا يتطور...فالحضارة هي نهاية العمران »(1).

قد يكون ابن خلدون أسير ألفاظ عصره وغير دقيق في تحديد بعض الأسماء والمفاهيم ، فهو محق في ذلك ، فلا ننظر إليه نظرة بعيون العصر ، نسين أو متناسين ما بيننا من فارق زمني . فإذا تصورنا جمودا بدون تطور للغة ما مدة سبعة قرون ، وقد يكون ذلك ممكنا ، لكن من غير الممكن أن تتصور أي شخص كان ولو كان ابن خلدون أن يتنبأ يتطور لغة عصر آخر يأتي بعده بعدة قرون ويستعمل ألفاظ هذه اللغة ومصطلحاتها ، فهذا الفارق الزمني هو الذي جعل ابن خلدون غير دقيق في استعماله للفظة الحضارة ، فتارة يستعمل الحضارة ، وتارة أخرى يستعمل الدولة وبنفي المعنى أحيانا ، ومع هذا كان ابن خلدون أول من استعمل لفظ الحضارة استعمالا قريبا من معناه الحاضر(2)، وليس هذا فقط بل ولولا مصطلح عصره لكان أول من بحث

(1) حسين مؤنس ، الحضارة ، ص 390.

(2) آمنة تشيكو ، مفهوم الحضارة ، ص 18.

عن منطق التاريخ إن لم يكن أول من صاغه[1]. فلفظ الحضارة بالنسبة لنا ليس حديث عهد من حيث الاسم واللفظ ، لكن المعنى العلمي الدقيق الذي عرفها بها الدارسون والمتخصصون اليوم هو الحديث العهد.

2. **الحضارة عند مالك بن نبي :**

ولقد عرف مالكو بن النبي هو الآخر الحضارة بمفهومه الخاص فقال : « وفي استخدامنا للمصطلحات البيولوجيا نجد أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي البيولوجي ، حيث ينشأ ويتقون هيكلها وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها »[2].

يعتبر مالك بن نبي من الرواد المسلمين المعاصرين في الفكر الحضاري إذ خاض في الفرك التاريخي والاجتماعي والفلسفي واطلع على : « فلسفات الحضارة الحديثة وتمثلها عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين »[3]. قبل أن يهتم بشؤون وشجون عالمه الإسلامي الممزق ووضعه الحضاري الذي يرتى له . كانت انطلاقة ابن نبي من السؤال التالي : ما هي الحضارة ؟[4]. فحاول في سلسلة كتبه التي كانت تحت عنوان : « مشكلات الحضارة » أن يجيب عن هذا السؤال الهام بتريث وأناة وتبصر ، لأنه بعلم أن الحضارة لا تعرف تعريفا واحدا موحدا ، ويجب أن ينظر لها من عدة زوايا ، وأي تعريف واحد قد لا يفي بالتعريف الكافي والدقيق لها ، فتناول الحضارة تناولا أكثر شمولية وتغطية لها ، من جهات تركيبها وتكوينها ووظيفتها وتطورها تاريخيا واجتماعيا وكان ابن نبي يرفض أن ينظر للحضارة من وجهة نظر أنتروبولوجيا ويفضل تناولها من وجهة نظر وظيفة ، فيقول عنها

---

(1) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 62.

(2) شروط النهضة ، ص 43.

(3) فهمي جدعان : أسس التقدم ، ص 410.

(4) مالك بن نبي : مفهوم الحضارة ، ص 111.

بأنها عبارة عن : « مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفرده في طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه »[1].

فهو هنا ينظر للحضرة من خلال الخدمات الأخلاقية والمادية التي يحصل عليها كل فرد في المجتمع . كل حسب حاجته وسنه ، فإن وفرت له يحصل كل حاجات العصر ومستلزماته من تعليم ونقل وعلاج وسكن وحرية وأمن وكرامة ، فهي إذا الحضارة . فالحضارة عند ابن نبي هي « حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية »[2].

ومن جهة أخرى ، إن ابن نبي ينظر للحضارة على أنها هيكل وروح وحركة وظيفة ، فإذا كانت وظيفتها خدمة الإنسان ماديا ومعنويا ، فليس معناها أنها جامدة وثابتة ، بل هي حركة تاريخية متغيرة غايتها السير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية هذا : « هو نطلق عليه اسم الحضارة »[3].

فالحضارة هو جودة بين قطبين متلازمين لا ينفصلان ويشكلان ضرورة لحياة الحضارة ونموها وتوازنها هما الروح والجسد ، فلا حضارة بدون هيكل ، ولا هيكل بدون روح ، فالحضارة هي بناء وتوازن بين الروح.

والجسد في مجال تواجدها وظهورها ، وهذا ما عبر عنه بن نبي قائلا : « وفي استخدامنا المصطلحات البيولوجيا حيث تنشأ ويتقوى هيكلها ويبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها »[4].

فالحضارة هي نتيجة حركة تاريخية تطورية نحو الرقى ، وهي نتيجة جهد يبذل ماديا وفكريا ، فهي : « كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي»[1].

---

(1) آمنة تشيكو : القضايا الكبرى ، ص 43.

(2) أسعد السحمراني : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، ص 143.

(3) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص 16.

(4) آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة ، ص 124.

إن الحضارة ليست فقط هي بناء القلاع والقصور ، أو تحت التماثيل وإقامة المعابد ، أو صناعة آلة أو اختراع جهاز ، أو رفع إنتاج وما شبه ذلك من عالم الأشياء ، بل هي قبل ذلك في نظر مالك فكر ، وبناء فكري ، فهي : « إنتاج فكرة حيث تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر والدفغة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره »[2].

3. **تأثير مالك بابن خلدون** :

علاقة مالك بن نبي الذي عاش في القرن العشرين الميلادي ، وابن خلدون الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد ، كان الفارق الزمني بينهما أكثر من خمسة قرون . ومع ذلك قد تكون بينهما صلة قرابة ما أقرب من قرابة أبناء المكان والزمان الواحد ، بل قد تكون أقرب حتى من قرابة الأقارب.

وإذا كان يحق لنا في أن نتساءل عن إن كان هناك تأثير وتأثر بنهما ، فلا يحق لنا أن نتسرع ونجزم كل الجزم بذلك ، وإن كنا نرى البعض منه ، ونحاول هنا في هذا أن نبحث على أي آثار لتأثر مالك بن نبي بابن خلدون ، نبحث عن ذلك في أقوال وأفكار ابن نبي ، ونحاول استنطاق نصوصه لعلنا نجد فيها ما نبرز به ما ناحلو إثباته.

وإذا كان ابن خلدون العالم الذي أثرت مقدمته وما جاء فيها كاكتشاف جديد كان له أثره على غير العرب قبل تأثيره على العرب والمسلمين ، فهل كان لمقدمته نفس الوقع والتأثير على ابن نبي ؟

---

(1) مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 141.

(2) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار ، ص 49.

يبدو أن ما كان يجمع ويقرب بين ابن نبي وابن خلدون كان أكثر مما اجتمع لغيرهما ، فابن نبي عالم اجتماعيا ، ومفكر حضاري إسلاميا وذا أصل مغاربي ، مالكا المذهب وابن خلدون هو كذلك ، ونهو قدوة ابن نبي ومثله أعلى ، ومحل تقديره وإعجابه ومضرب مثله.

لقد أعجب مالك بن نبي بموضوع فكر ابن خلدون الاجتماعي والحضاري وأعجب بمنهجه التاريخي وبمكانته ومقامه فقال عنه : « المفكر العبقري وعمدة المؤرخين ومكتشف منطق التاريخ وأحد رموز أمجاد الحضارة الإسلامية..إلخ».

وفي تأثر مالك بن نبي بابن خلدون قال : « قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العمر ، أمجاد الحضارة الإسلامية في توجهه دوسلان لمقدمة ابن خلدون ، ... وانتي على إدراك تام لما أدين به لهذه المطالعة ... والآن ، وأنا قد تجاوزت الستين من العمر ، أستطيع أكثر من ذي قبل ، تقدير هذا العلاج للفكر وللضمير لا في النطاق الشخصي فحسب...» [1].

4. **بداية مالك مع ابن خلدون** :

إن بداية مالك مع ابن خلدون كانت بداية مبكرة ، لقد تعرف عليه وهو لم يتجاوز سن العشرين من عمره حينما كان طالبا بالثانوية في مدينة قسنطينة ما بين 1921 و1925 ، وفي هذه المرحلة ولأول مرة في حياته بتعرف على ما كتبه ابن خلدون ويطلع عليه ، حينما اطلع على مقدمته التي كانت مترجمة وموجودة بمكتبة الثانوية ، فكان لذلك الحدث العفوي أثره البارز في حياة ابن نبي ، فقد كان إطلاع ابن نبي على مقدمة ابن خلدون نقطة تحول

---

[1] مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، ص 172.

في حياته ومسار اتجاهه الفكري كما يقر هو نفسه بذلك : « وفي ذلك وقع حادث صغير إلا أن نتائجه على تفكيري كانت كبيرة »[1].

إنه حادث استعارته لكتاب مقدمة ابن خلدون المترجم والإطلاع عليه.

وهنا نلاحظ كيف أن مقدمة ابن خلدون المترجمة والتي قد أهملت قبل ذلك بعدة قرون ولم يلتفت لها أحد وقتا طويلا ، ولا حتى كبار العلماء والمثقفين والتي قد استعصت على بعضهم ، إلى أن اكتشفها مالك بن نبي.

إن ابن نبي منذ بداية تعرفه على ابن خلدون وهو في سن الشباب لم يتجاوز العشرين لم يزده تقدمه في السن واتساع نطاق مداركه العلمية والفكرية وما مر به في حياته من تطورات وظروف ، لم يزده كل ذلك إلا مزيدا من الاقتراب أكثر من ابن خلدون ، حتى أصبح ملازما لفكرة منذ شبابه إلى ما بعد كهولته ، فبقدر إعجابه به وهو شاب كان إعجابه به بعد أن تجاوز الستين أي قبل وفاته بقليل ، فهو اعترف له بدوره التاريخي كرجل فكر وكعبقري ، وأن نظريته هي الوحيدة في العالم إلى غاية القرن التاسع عشر ، والتي اعترفت بتأثير ودور العوامل الاقتصادية في التاريخ[2].

لقد أصبح الفكر الخلدوني هاجس ابن نبي وشغله الشاغل حتى يكاد يوصن بحفظ نصوصه : « وإن ابن خلدون مطلع إطلاعا واسعا على الثقافة العربية والإسلامية ويستشهد كثيرا ببعض نصوص ابن خلدون حتى ظننت أنه يريد منا أن نحفظها على ظهر قلب »[3]. هكذا كان رأي أحد تلامذة ابن نبي المقربين منه فيه :

---

(1) مالك بن نبي : الطفل ، ص 113.

(2) مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ، ص 16.

(3) عبد اللطيف عبادة : صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، ص 19.

إن القارئ الجاد والدارس لفكر ابن نبي لا تغيب عليه ملاحظة مكانة ابن خلدون وعنده وتأثره به وعيشه في أحضان فكرة قلبا وقالبا عنه أنه أصبح لديه : « شمول ابن خلدون العقلي »[1].

وما استوقفنا من تأثر مالك بن نبي بابن خلدون وتأثيره عليه ، وتمثله لفكرة الحضاري ، وإعجابه به تصريحا وتلميحا.

[1] فهمي جدعان ، أسس التقدم ، ص 577.

5. مواقف وأفكار مشتركة بين مالك وابن خلدون :

لقد تكلمنا فيما سبق عن علاقة مالك بابن خلدون وقد ظهر لنا من خلال ما تعرضنا له أثناء الغرض أن ابن نبي معجب ومتأثر حتى النخاع بابن خلدون.

لقد تناول ابن نبي ما جاء في مقدمة ابن خلدون من تأثير للعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية والفكرية والنفسية في تطور للحركة التاريخية والحضارية ، غير أنه عبر عنها بمفاهيم ولغة عصره.

تناول ابن نبي في كل كتاب من كتبه موضوعا من المواضيع ذات الصلة بالحضارة ، بينما تناول ابن خلدون هذه المواضع كلها وغيرها من المواضيع الأخرى في كتاب واحد هو المقدمة.

ويلاحظ القارئ لهما الشبه القوي بين مالك وابن خلدون في التقسيم الثلاثي لتطور السلوك الحضاري الإنساني[1]، وكذلك الثلاثي لمراحل التاريخ ، فابن نبي يرى المرحلة الأولى للحضارة الإسلامية هي مرحلة الروح ، وتليها مرحلة العقل ثم أخيرا مرحلة الغريزة . أما ابن خلدون فقد قسم تاريخه هو الآخر إلى ثلاث مراحل هي : مرحلة الخلفاء الراشدين والتي خلصت فيها للدين ، ثم مرحلة بداية العهد الأموي إلى غاية العصر العباسي الأول ، وفيه اختلطت الخلافة مع الملك ، واعتمد الحكم على العصبية والقوة . أما المرحلة الثالثة فتبدأ من العصر العباسي الثاني وما بعدجه وهنا انفرد الملك وانفصل من الخلافة[2].

(1) محمد فتحي عثمان : القيم الحضارية ، ص 40

(2) فهمي هويدي : تزييف الوعي ، ص 50.

وهناك مواقف أخرى تجمع بينهما وتجعلهما في إطار واحد غير إطارها الفكري . إنها مواقف متشابهة ليست بالضرورة من صنعهما ، بل شاركت فيها ظروفهما التاريخية ، وكذلك لعبت الصحف ولأقدار دورها أيضا.

وأبرر هذه المواقف هي : كيف اشتهر كل منهما في غير مجال تخصصه ، فابن خلدون قاضي القضاة ومدرس الفقه المالكي الذي أفنى حياته فيه ، وابن نبي المهندس الكهربائي ، كيف يصبح كل منهما مفكرا حضاريا ويشهر في غير مجال تخصصه ، وكيف أن كلا منهما مغاربي الأصل ، إسلامي الفكر ، فكري المنهج وكيف أن كلا منهما كان من التشرد والاغتراب والترحال ، وكيف تساهمت ظروفهما الخاصة والتاريخية فالأول كان من فترة الانحطاط والثاني كان من فترة الاستعمار وكيف كان ابن نبي مقيما عند أعمامه بقسنطينة ، وكيف كان أبناء ابن خلدون يذهبون ل لإقامة عند أخوالهم بنفس المدينة (قسنطينة) ، وأخيرا كيف أن كلا منهما غادر موطنه الأصلي وعاش في القاهرة.

من خلال دراستي وبحوثي المتعددة حول مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وابن خلدون استخلصت مما سبق بأن كلا المفكرين العربيين تطرقا إلى مفهوم الحضارة حسب فطرتهما الفكرية التي فطرا عليها اجتماعيا وتاريخيا وحضاريا وروحيا ، فكانت روح فكرهما حية تنبض ، وكان فكرهما أكثر قربا من واقعهما وأكثر مصداقية من غيرهما ، وكان فكرهما ألصق بواقعهما الاجتماعي والحضاري التصاق الجلد بالجسد ، ولهذه النوعية كان ابن خلدون وابن نبي يمثلان استثناءا فكريا بالنسبة لجذب صحراء فكرنا . فنحن نريد نوعية فكرية أصيلة واقية ونابضة بالحياة ، لا فكرا ميتا ومتكررا جيلا بعد جيل ، نريد فكرا جديدا لا متجددا . أعتقد أن نوعية وموضوعية وأصالة مفكرينا هي التي جعلت فكر ابن خلدون يترجم وينتشر غربا وشرقا وبكل لغات العالم وهو الذي جعل فكر ابن نبي يكتب بالعربية والفرنسية والأردين والفارسية...إلخ.

غن الحضارة هي الإنسان ومشاكله وحلوها ، فلا حضارة لمشاكل بلا حلول ، ولا حلول لغير مشاكل ، وفقدنا لحلول مشاكلنا معناه فقدنا للحضارة ، ومعناه تقبلنا للتخلف وقبول العجز عن الحلول واستسلامنا للفقر والجوع والجهل.

إن مشكلة الحضارة هو ما تناوله كلا من ابن خلدون ومالك ابن نبي لكل كل نظر إليها بمنظور عصره ، وكل حاول أن يصنع هيكلة حضارية المعتل تحت مجهره وأن يفحص وأن يحدد العلل وأسباب علته علاج دائه وحلول أزمته.

وبعد كل ما قيل هنا في هذا البحث المتواضع عن مالك بن نبي وابن خلدون فليس هو كل ما قال ، بل هناك جوانب أخرى جديرة بالوقوف عندها فيما يتعلق بالحضارة بينهما.

فالمقارنة لها شكلها ومنهجيتها ، أما هذه الدراسة فلم تكن مقارنة بالمعنى الدقيق ، وإن بدت كذلك في بعض جوانبها لأنني وقفت فيها فقط عند مفهوم الحضارة بين ابن خلدون ومالك بن نبي والتشابه المشترك لفكرهما وحياتهما.

1. ابن خلدون : عبد الرحمن : تاريخ العلامة ابن خلدون ، المجلد السابع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983.
2. ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة ، الجزء الأول ، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع ، الدار التونسية للنشر ، 1984.
3. ابن نبي : مالك : مذكرات شاهد للقرن- الطالب – الطبعة الأولى ، بيروت : دار الفكر ، 1970.
4. ابن نبي ، مالك : الظاهرة القرآنية ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دمشق : دار الفكر ، 1986.
5. ابن نبي ، مالك : القضايا الكبرى ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار الفكر الجزائر : دار الفكر ، 1991.
6. ابن نبي ، مالك : المسلم في عالم الاقتصاد ، بيروت : دار الشروق.
7. ابن نبي ، مالك : شروط النهضة ، ترجمة : عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين ، دمشق : دار الفكر ، 1986.
8. ابن نبي ، مالك : مذكرات شاهد للقرن – الطفل والطالب – دمشق : دار الفكر ، 1970.
9. ابن نبي ، مالك : مشكلة الأفكار ، ترجمة : بسام بركة وأحمد شعبو ، الطبعة الأولى – الجزائر : دار الفكر – دمشق : دار الفكر ، 1992.
10. ابن نبي ، مالك : ميلاد مجتمع ، ترجمة : عبد الصبور شاهين – تونس : دار الراية للنشر.
11. ابن نبي ، مالك : وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبا محمود ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1986.

12. تشيكو ، آمنة : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد تويهبي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989.

13. جدعان ، فهمي : أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ، الطبعة الثانية ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981.

14. السحموراني ، أسعد " مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار النفائس ، 1986.

15. شبلنجر ، اسوالد : تدهور الحضارة الغربية ، الجزء الثاني ، ترجمة : أحمد الشيباني ، بيروت : دار مكتبة الحياة.

16. شريط عبد الله : الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

17. عبادة ، عبد اللطيف : صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، الطبعة الأولى ، باتنة : دار الشهاب ، 1984.

18. مؤنس ، حسين : الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، الطبعة الثانية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، بيروت ، 1998.

19. مغربي عبد الغني : الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ، ترجمة : محمد الشريف ن دالي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1988.

20. هويدي ، فهمي : تزييف الوعي ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الشروق ، 1987.

المجلات والدوريات :

❖ مالك بن نبي (مشكلة الحضارة) الأصالة ، 1398هـ-1978م ، عدد 54-55.

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل	01
الفصل الأول	
التعريف بابن خلدون	10
مولده ونسبه	11
تعليمه	13
حياته السياسية	15
عودة ابن خلدون للمغرب والأندلس	18
حياته العلمية	20
مؤلفاته	21
الفصل الثاني	
مولد بن نبي نشأته وتعليمه	23
البحث عن العمل	26
الإقامة بفرنسا	28
مؤلفات مالك	31
الفصل الثالث :	
الحضارة عند ابن خلدون	35
الحضارة عند مالك	37
تأثير مالك بابن خلدون	38
بداية مالك مع ابن خلدون	39
مواقف وأفكار مشتركة بين مالك وابن خلدون	41
الخاتمة	44

قائمة المصادر والمراجع 46
فهرست 49